سُترة .. !

- سأذهب لإحضار مستلزمات سفره .. لن أتأخر .

خرجت ابنتها بعد أن ألقت على مسامعها هذه الجملة التي حركت تلك الغصة في حلقها مجدداً، يا لها من كلمة قاسية، لم تدرك ابنتها مدى حدتها، "سفره" !!.. على أيةِ حال عليها أن تقبل بهذا، أنبأها بندول الساعة أنها العاشرة، ألقت عليه نظرة حانية .. حزينة، وهو ممدد على فراشه. نظرة امتدت بطول عمر كامل. تلمست عكازها. أمسكته بوهن امرأة عفا عليها الدهر، استندت عليه وخطواتها الهرِمة تقاوم للوصول إلى تلك المنضدة. ويا لها من اصطدامات مؤلمة اعتادت عليها عندما تحاول الوصول لنظارتها هناك. استقرت النظارة فوق أنفها، نظرت لتلك السلة المليئة بلُفافات الصوف بألوانها، ثم أرسلت نظرة إليه. يا إلهى .. سيترك دفء حنانها ويغادر إلى قسوة تلك البلاد الباردة. اجتاحت النافذة نسمة باردة أجبرتها على التعديل من وضع وشاحها ذى اللون الأبيض كلون شعرها الذى اجتاح الشيب شبابه. كيف سيتحمل جسده الهزيل تلك الرياح القاسية هناك ؟! .. سوف تنسج له سترة صوفية تنقل له دفء يديها و تغلفه بحرارة قلبها .

تناولت يدها التى غلفتها التجاعيد لفافات الصوف، عادت إلى كرسيها الهزاز، أفزعها صوت الأمطار في الخارج، وأصابها الهلع من تلك البروق والرعود، عادت للفافاتها .. حسناً، ماذا ستصنع الآن؟ وأي الألوان ستختار؟ سترة بنية بلون عينيه تنتشر فيها خيوط بيضاء بلون فرحتها يوم أن أهداها ذلك الوشاح المستقر فوق كتفيها، سوف تجعل من تلك السترة مقطوعة موسيقية تروى حياتهما سوياً، أمسكت بالإبر. وبدأت في العزف. تنساب من يديها أعذب النغمات، حينما يرتديها سيزيد لون عينيه على جمالها جمالاً، أخذت تنسج وتنسج .. تعزف و تعزف، دقت الساعة الحادية عشر، بقيت ساعة على مغادرته المنزل، عليها أن تسرع، زادت سرعة في العزف .. فازدادت حركات كرسيها الهزاز سرعة وتوتراً، غردت طيورها التى أهداها إليها ذلك اليوم. وكأنها تستعجلها .. هيا أسرعي .. فأسرعت .. الآن سوف تنسج اللون الأبيض مع السترة البنية.

مدت يدها لتتناول لفافة الصوف البيضاء فسقطت على الأرض، انحنت لتلتقطها فسقطت نظارتها. أخبرها صوت ارتطامها بالأرض بأنها قد فارقت الحياة. لم تعد تتبين الأشياء، تشوشت رؤيتها بشكل كامل. ترجلت كرسيها وأخذت تبحث عن لفافة الخيط البيضاء، هاهو طرف الخيط. أخذت تعمل بسرعة وهى جالسة على الأرض، لم تتبين ما تصنع، ولكن يديها أخذتا في العزف بمهارة دون الحاجة للنظر إلى النوتة الموسيقية. لم تتضح لها من رؤيتها شيء سوى تشعب الخيط الأبيض وتغلغله في السترة البنية ليمتزج لون عينيه بلون فرحتها. وشاحها يزحف تاركاً كتفيها. لن تهتم. أكملت العزف .. بمهارة، يمتزج اللونان أكثر فأكثر، يسقط الوشاح أكثر فأكثر، تقرصها برودة الجو، وتؤلمها برودة الوحدة المنتظرة، لن تعيرهما اهتماماً، أكملت وأكملت .. عزفت وعزفت، تختتم المقطوعة، يفتح باب المنزل، فتلفحها رياح قاسية.

- لقد عدت يا أمي
- أحضري لي نظارتي الأخرى، ثم أعيدي الوشاح على كتفيَّ يا ابنتي.

ناولتها نظارتها الأخرى فارتدتها؛ لترى ما صنعته يداها، سترة رائعة .. خلابة، كتلك الموسيقى التي يحب هو سماعها. نظرت للسترة بفرحة، عينيه البنية تشع منهما فرحتها البيضاء .. و .. ولكن .. ما هذا؟! إنها .. إنها لفافة الخيط الأبيض .. كما هى .. لم ينتقص منها شيء .. إذن فمم صنعت ال ..... ؟!!

- آآآه .. الجو بارد .. أماه .. أين وشاحك؟؟